اتخـذها تجاههم وزير الداخلية اغناتييف، وهو الذي أمر باجلاء ستمئة ألف يهودي عن «روسيا المقدسة في نظر الروس واسكانهم في الاراضي المخصصة لهم»، مما زاد في اضطهادهم في كل من رومانيا وغاليشيا وما جاورهما.

وامتد الضغط غرباً حتى وصل إلى ضفاف السين في باريس بعد حادثة دريفوس الشهيرة، «فانتبه اليهود من رقادهم وقالوا ما لنا لا نكون امة كأمم البلقان ونحن اكثر عدداً من البلغار، مثلاً، وأزيد منهم مالاً وعلماً ودهاء وبيدنا ثروات الدولة المتمدنة ومطبوعاتها وهما اللولبان اللذان تدور عليهما رحى السياسة...».

ويستنتج المؤلف من هذا كله ان الصهيونية ظهرت «بعاملين مؤثرين أحدهما اضطهاد اليهود المسمى عند كتبة الافرنج ' انتي سيمتزم' وثانيهما انتباه الشعور القومي فيهم...».

ويعـزو المـؤلف انتبـاه الشعـور القومي هذا إلى «الانقلاب الكبير الفرنساوي» (يعني الثورة الفرنسية) «الذي قامت فيه الحرية مقام الاستبداد وأصبحت السيطرة للأمة بعد ان كانت للملوك والمتغلبين...»، بحيث «ولدت الحرية الشخصية فيهم رغبتهم في الحرية القومية...»، بعدما شاهدوا قيام سويسرا وهنغاريا وثورة اليونان والصرب والبلغار والجبل الاسود، ومحاولة ايرلندا تحرير نفسها من السلطة الانكليزية، واتحاد ايطاليا والمانيا «على اساس القاعدة القومية»؛ فجميع ذلك أثر في أفكار اليهود، وولد فيهم «شوقاً للاتحاد القومي والحياة المشتركة واعادة مجد بني اسرائيل القديم الذي أطنبت بذكره كتبهم الدينية».

في هذه الاوضاع ظهر الدكتور هرتسل ليصبح، في نظر الصهيونيين، «كموسى بن عمران لتصديه لجمع شتات اليهود وادخالهم الارض الموعودة»، ونشر سنة ١٨٩٦ رسالة عنوانها «الدولة اليهودية»، «وضع لهم فيها البرنامج الذي ساروا عليه ليتوصلوا إلى تأسيس دولتهم...».

وقال الصهيونيون: «لا ينبغي ان نؤجل تأسيس الدولة اليهودية إلى ان نستولي على الاراضي المقدسة بالاتفاق مع تركيا ومعاونة الدول الغربية وانما يجب ان نعلن على الفور وجود الدولة اليهودية وان نجعل مركز حكومتها في احدى المدن الاوروبية وندير شؤونها السياسية ونسعى في استعمار فلسطين رويداً رويداً».

وهكذا، في رأي المؤلف، وضع الصهيونيون «أسس دولتهم في الخارج». فعقدوا مؤتمراتهم التي اعتبروها بمثابة «مجلس المبعوثان» (أي البرلمان العثماني)، وتشكلت أحزابهم وفرقهم السياسية، وانتخبـوا لها «جمعية عاملة» مؤلفة من بضعة أشخاص هي بمثابة «القوة الاجرائية والحكومة»، وجمعيـة «عاملة كبرى هي بمثابة مجلس شورى الدولة»، وانتخبوا رئيساً «لجمهورهم»، وأحدثوا «نظارة لماليتهم» تجبى وارداتها من «التكليف الشخصي» عن طريق دفع الشاقل (والشاقل، كما ينبّه المـؤلف، من مسكـوكات الدولة اليهودية القديمة)، أو من حاصلات طوابع البريد التي تلصق على مراسلات الصهيونيين، أو من الجزاء النقدي الذي يؤخذ في المحاكم الصهيونية، أو من الهبات والعطايا.

ولم يقف الصهيونيون عند هذا الحد، بل أسسوا «البنك اليهودي الاستعماري» برأس مال قدره مليـونان من الجنيهات الانكليزية، وجعلوا مركزه في لندن وفروعه في الآستانه والقدس ويافا وحيفا وبيروت وغيرها، وسموا هذه الفروع اسماء مختلفة، وأسسوا مصرفاً آخر دعوه «البنك اليهودي المليّ» وأعانوا بأموالهم الجرائد العثمانية «التي تدافع عن الصهيونية وتذيع فوائد الاستعمار»، وكافأوا